Summary

This research talks about a rare phenomenon in the Algerian popular religious poetry represented in djofry poetry in which the poet predict the incidents which happen in the future that is to say, incidents which he relates and considers happen definitely. This religious objective is obscure in its sens, but the poet considers it as a style whose the way is the social and political critics. For this purpose, he uses signals and symbols to indicate what follows.
موقع الجفريات من الشعر الملحون الديني الجزائري.

تنتمي القصائد الجفرية إلى الشعر الدين في موضوعها، وهي من أندر القصائد في الشعر الملحون الجزائري، والشعر الجفري -على قلة وثينباب الشاعر بجوادتها تقع مستقبلة بالاعتماد على الرمز. يختص الشعر الملحون بنوع يسمى الجفريات، وهو التنبؤ بالحوادث المستقبلة، والواقع أهم يتخذه هذا الأسلوب كملطية للنقد السياسي، متخذي لهذه الغاية إشارات ورموز بدركها المعاصرون ويفهمون مغزاه»، أي وقائع يخبر بها على اعتبار ما سيكون، وكأنها اختلاس من الغيب، وأمور الغيب لا يعلمنها إلا الله باستثناء ما أطلعه الله من عنده للصائحين من عباده، ففضع على ألسنتهم كلاما يقع لا مثالا وعلى حد تعبير ابن خلدون «إن البشر متحجبون عن الغيب، إلا ما أطلعه الله عليه من عنده في نوم أو ولاء».

وتعمد قصائد الجفر -أحيانا- على الحروف كرموز للدلالة على توضيح شيء عامض، أو حوادث تأتي في المستقبل، ويري الباحث عبد الحميد صالح حمدان، في تدقيقه وتحقيقه لرسالتين في صرح الحروف ومعانيها، واحدة لأبي عربي والأخرى «الأبي الحسن الهرالي» بأن الحروف «فرع من علم الجفر وهو علم يبحث فيه عن الحروف من حيث هي بناء مستقل بالدلالة ويسمى كذلك بعلم التفسير، ومنه تعرف حوادث العالم إلى انقراضه»، وقد أضحى هذا العلم، وعلى يد بعض الفرق الباطنية نوعا من الممارسة السحرية.» ويري بعض العلماء أن الحروف وأسرارها سارية في الأسماء وسارية في الأكوان وتتصل بالروحانيات والفلسفة والتنجيم، والصوفية يرون أن الحروف لها دلالات خاصة في أسماء الله الحسنى المشقوبة بالأسرار والخصائص، ونال ما كل مطلوب، والحروف عندهم تكن في الحقائق البسيطة للعلم الإلهي قبل انصاغها بالوجود العبئي، ونجد أسرار هذا العلم مبينا في كتب المصتوكة كما يقول الحراكي: «وكل ذلك في سائر الأسماء والمسميات في جميع اللغات يختص كل اسم من الحروف بما يناسب أحوال تلك
الأمة في ذلك المسمى في إدراكها وانفتاحها به» (4)، ويتخذ أسلوب الجغر كمظلة للنقد الاجتماعي والسياسي يرى مستقبلية، صادرة عن هيئة غريبة يبهبها الله لمن يشاء من عباده الصالحين. ومن أشهر الكتب التي ألفت في الجغر كتاب "مفتاح الجغر الكبير" محمد بن علي السنوسي (5)، يعتمد المتصوفة بكثره.

ويبدو أن أصحاب الطرق الصوفية متأثرون بأفكار علم الباطن، حيث يتكلمون عن كتاب الجغر للسنوسي، هذا الكتب العجيب الذي يجمع بالرمز، وكتير الغموض، ويعتبروه من مصادر علم الباطن ومستودع لأفكاره، وأورد العياشي في رحلته مفهوم ابن عربي للجغر بأنه «من الأسرار التي اختص بها الأبرياء وورثهم من العارفين الكمال» (6)، والشعر الملحن كان وراء الشعر الجفري لأن لغته تناسب خطابه، وفي المناطق السهبية والجنوبية يطلق على الجغر اسم النشد.

ومن أشهر القصائد الجفري التي كانت البذرة الأولى في هذا الغرض أوردها سونك في قصيدة "صلو على النبي واطرنا على العشرا" (7)، وقصيدة أوردها الباحث "عبد القادر جولجواجي" هي "يا ناس اللي ما تقرأوا اجاه" (8)، وهما للشاعر الأ�فرح بن خلوف (9).

ففي القصيدة الأولى "صلو على النبي واطرنا على العشرا" ينتبأ بما يقع بلاد المغرب وإفريقيا، ابتداء من القرن الثاني عشر الهجري إلى ما بعدها، منها هذه الأبيات:

وحران على أثر قولى ذا الحديث وبوحا
حتى تقول ربي وخذ هذه الروحا
يا بن خلوف بعدك تشوف ما يطرأ
وتعود فرح وسرور ما ترى كشرا

تيني ببلاد سبته كثير من الإسلام
وتشوف الهوى والطراد بين الميم واللام
أول إثنا عشر القرن بالقرون اعداد
نبر وترول هذه الهومو والانكاد
التنزؤات في الشعر الملحون الديني الجزائري

بالعلم والعمل والحنان والقرآن
ورجال غايطين في مساجد الآذان
واعطام من تولى وسوتها رنان
بإذن الله إنه هو أعلم وإداة
تدي قليل من الإسلام مكل أسرا
والناس باقيه في الهملاك والقهرا
ويوقع طراد كثير في غمرو
والكور يخط مع الرصاص لا فترا
لو كان تطول عمرك ترى هموم كثيرة
تكثر أهل المعاصي تغلب أهل الخيرا
حولي ووقتي بك صاحب التدابيرا
بالبوميه والرمال والطغيان تزرفا
واليا علي أثره زيد الدال في الجرا
تبقى نحو شهرين ترجع الكشرا
لطرابلس حتى لتونس الخضرا

بإذن الله وهران تعود للاسلام
بالذكر والزكاة والصلاة والصيام
وتعود الرحم للغريب والأيتام
ترخس جميع الأسعار من الزرع والتمار
طامة تحي من البحر كالنمل غوار
وشي إسلام ترتد ثانيا للكفار
ويجوب قوم الأثراك والعرب يا جناد
والرجال ضاحه والنسا مع الأولاد
يا من سمعت قول أفهم لدو الأوزان
آخر الزمان ما ثرو ما الإخوان
توفي أهل المعاصي تجوز بالطيان
تخرج على الجزائر عساكر الخزيان
هذا الكلام ميم وقين القدر
بعد تمام ذا القول تتقاط العياد
لورياك حدها من بلاد محمد

في هذه القصيدة ينتمي الشاعر بزواس المصائب والهموم والأحزان وتسود الأفراح، ويعد الإسلام إلى مدينة وهران، وتكون كعهدها منارة للعلم والنشاط التجاري، إلى أن يأتيها الاستعمار الإسباني، حيث يعيشون في أرضها فسادًا
ويجدون سكاين ويهبون خيراً، ثم يقبض الله رجالهم للعصر يتم من عرب
وأتراك ليحررواهم من الإسبان، وبدعهم يعود الأمن والاستقرار، وتتوحد القبائل والعروش وتناهى الناس، وبعدة مدة تستفيق في براين الفساد والمعاصي فيقل الخير
وكثر الشر، فيستغل الإسبان هذه الظروف ليعاودوا الهجوم على وهران
وسواحلها، حاملين معهم عدة وعتادا كبريين من مدافع وأسلحة وقنابل فتاكه،
ويعلن الجهاد مرة أخرى، ويتصدى لهم السلطان محمد في معارك طويلة تدوم
شهرين، وأثناء ذلك ينتشر القحط والمجاعة، ثم يعود السلم بانتصار السلطان ويعم
الاستقرار للجزائر عامة وتركيا وطرابلس وتونس.

وفي الختام استعمل أربعة حروف هي: الميم، القاف، اليماء، الدال وجميعها
"مقيد" فارتباط عدد هذه الحروف يعني شيئا ما، وهذا يرجع إلى تأثير جدول
الأجدادية(10) حيث يقترن كل حرف بعدد معين، ورقم ثابت لا ينخفض غيره.

فالميم مقرون ببرم 40، والقاف مقرون ببرم 100، والياء مقرونة ببرم 10،
والدال مقرون ببرم 4.

وهذه القصيدة غير مؤرخة ولم يورد الشاعر إشارة أو تلميح عن سبب
نظامها، إلا أنها تعم بالأحداث والوقائع التي تنبأ بها، وحدثت فعلا حسب
المصادر التاريخية التي تؤرخ للاحتلال الإسباني على السواحل الجزائرية.

والقصيدة الثانية "يا ناس اللي ما تقرأوا اجاه" يتبناها فيها بما يحدث في آخر
الزمن من كثرة المعاصي والفساد وأحوال الناس في حب الدنيا ونسيان الآخرة،
حول الساعة وعلاهما، فيقول: ﱧويكون قد استفاها من أحاديث الرسول

يا ناس اللي ما تقرأوا وجايه
يمود صاحب المال مشرف النسب
بالعينين يشوفون والقلوب عامه
لا ورق لا حشمه لا غزل لا حياة
تاريخ عظم جبريل يا أهل الكرام
هموم يا سره راهي للناس جايه
عقبت الدنيا جات اليوم للحضر

غالسه الركاز خيمه بلا عمود
ما معاه مروه ولا مسقمه
والشروخ هنا والله يرميه
الكذب والخدعه والجور والحسد
الغنم والنهب في الجار بالشهداء
قرنها شا وحال على أذن الجدود
قرن الثالث عشره وحوى في الوجود
التنوّع في الشعر الملحنون الديني الجزائري

الشاعر معها سحره باحويه
متعانقين على ضرفة المال والمال والبهاء
ملكين الفتاحا بالصوت والصباب
وسوفهم في المقبل تعود حافئه
المسته من دون الجرح حافيه
يعظمو الأميين تقوى أهل الحمر
وارثين الكرسي أمره في الشرع
لا حدث يوم لا قلوب صافيه
خذ تقريبي الساعه حق بلا حساب
فتاه بين الشرفة في الهيم والكرود
والنسا في الأسواق الا يشيروا
يوم لهم وغدا هواك ينكروا
القلوب ملانه بالغش والسدود
تابعين الربا والبجرة والحنان
ال_SRV

الخليفة في الجمواع وقت السجود
أهل الخديعه غيروا الحكمه في البلاد
مشتمين الضحكات تتمل للقرود
الخليفي راقب تشوف ما يعود

في هذه القصيدة يتنبأ فيها بما يحدث في آخر الزمان، من آثار ومعاص،
وأحوال المسلمين في حب الدنيا والغفلة عن الآخرة، حيث يشبه المسلم العاقل
عن أمر دينه كالخيمة بلا أعمدة ترتكر عليها ويتحرس الشاعر عن سوء أحوال
الزمان وكيف انتقلت أمور المسلمين، يشرف ويظلم صاحب المال ويهمش
الأصول ويبتشر الخداع، والتعامل يكون بالكذب والنفذ، ويبقى الحياة والوقاء
وينهض الضم والنهب والغباء، ويشبه الفتاة السريفة بالشجرة بدون ثمار، لا يدري
بما أحد ولا يهتم بما أحد، وبذهاب القيم الفاضلة يحل محلها التنفس الأخلاقي
بريادة النساء المترجحات الثلاث لا هم نحن إلا النزين وتضيع المال في الفواحش
واللغوه.

وتنبأ بانتشار الحسد والبغض بين المسلمين والتعامل بالربا والخداع والظهور
بغير الاعتقاد السليم في المساجد، كما يرتفع شأن الأميين وتعاطي الحمور
وتولى لهم المناصب العليا في السلطة.
إن تنبؤات الشاعر تجاوزت زمنه إلى أزمان أخرى، ويدو أنه اطلع على ذلك والسيرة النبوية والتراث الديني، فوظفها في قالب أحاديث الرسول شعرية، وظلت هذه القصائد راسخة في الذواكر الشعبية وتحمل المخالب الشعرية جيلا بعد جيل.

ومن بين الشعراء الذين تنبؤوا باستقلال الجزائر الشاعر "عبد القادر المازوني"(11) في قصيدة "الفرانصيص"(12). منها قوله:

تتهنى العباد وتزول فاع أحزها
ويزول ذا الظلم على المسلمين
يا خالق العباد تتوسل بظه
رب وجيب ليها سلطان حين

في هذه القصيدة تصوير للجو الذي تزامن دخول الاستعمار الفرنسي مدينة الجزائر، والتدمير الذي حثها في جميع حياكلها المادية والمعنوية، والحراب الذي آلت إليه من حراء أفعاله، ورغم تكسر الشعراء لهذه الحالة إلا أنه توسم استقلال الرسول أن يقع ذلك. الجزائر وتتوسل بالله تعالى وجاو

فبعد قرن وثلاث القرن استقلت الجزائر مدينة ووطنا. أما الشاعر "بن يوسف"(13) يستنجد بشيخه "عبد القادر الجيلالي" لينقذ الأزمان القادمة، لأن تنبؤاته تخبر بانتشار الفساد في قوله: (14)

يا راكب العجلاء يا دري نرجاك اليوم واللا لا
سيدي كلمة
يا مولي جيلاه
واذيبات المختصر
المحدث لمبح رواه كم من طالب
المومن محتور وذليل عقله سالب
بلغوه ادهنة
والحق سافر غايب
والباطل مرفوع على الكرسي ناصب
بوزيرو هجن
واللي كان الجمار لحؤه يفتح بابو
بالملك تشيددن
صدور رجال الدلالة والمشعشع
نجموا غاب حندرس قاله
واظلامد دون
الزور عاد مراقب
والحق غاب سحابه
وتبيعه فاع اجبابه
نرجا ضرك تراقب
وسنين جات غرايب
يوجه الشاعر ندائه إلى شيخه "عبد القادر الجيلالي" الذي يلقب "قويدر" الراكب على فرسه السريع، مترددًا في استفهامه وانشغاله بمذوته، بأنه منتقذه من جناباته وذنوبه في زمن انقلبت فيه القيم.

وبعد ذلك يتبَّنِّي الشاعر بما يحدث في المستقبل من خلال قراءته لواقعة الذي سيت Sản في المستقبل على اعتبار ما سيكون، حيث يبذل المؤمن، ويغيب الحق ويظهر الباطل، وتنتشر الأمان وتعلم الشرور، والجائر لا يأمن جاره، ولا يفكر المسلم إلا في نفسه، ثم يخرج إلى رجال التصوف والأولياء الذين أفلحتم بعده ظهور المشعوذين والدجالين الناشرين للأباطيل والخرافات، والمسهمين في وصول الظلمين والفسادين إلى السلطة وبقائهم فيها، ويشبه هذا الوضع بطائر اليوم الذي يبقى ينوح في الليل بمعية الذئاب.

ثم يعود الشاعر ندائه إلى شيخه "عبد القادر الجيلالي" بضرورة نشر بركته قبل حرب الزمان، فشبهه فساد الزمان وألهه بقطع الليل المظلم، الذي ينعمل فيه التميز والرؤية الصحيحة، هذا الزمان الذي يصوره الشاعر "الطاهر بن حواء"(15) بقوله:

الزمان ايفي عيّاً اشحال من صول
كل يوم يعرى هذا وقد يكسيه
فالشاعر يشبه الزمان بالإنسان المنعم، فكل صولة يقوم بها إلا وترك أحداً عارياً، وأحدًا كاسياً.

فهذا الإنسان غير عادل، وهذه الصفة تبًّا بما الشاعر لأن الناس أكثرهم من الفساد والآثار كما قال الشاعر عدة التحليلي(17)؛
التنبؤات في الشعر الملحنون الديني الجزائري

الشاعر تنبأ بالنماذج البشرية التي تسيطر في المستقبل وهي فئة الفاسدين، أصحاب المكائد لا هم يتفاخرن بالخدام والحيل، ولا يقيمون وزنا لأهل الخير من المحسنين، وينكرن أعمالهم الجليلة. ويعتمدون في حياتهم على المعاصي والشرور ومماربة الخير وأهلهم.

والخلاصة أن أشعار الجفف قليلة جدًا في الشعر الملحن، وأن أكثرها موجود في التعبير الشعبي، على شكل أمثال وحكم ونصائح، وأحيانا تأتي في شكل ألغاز تن🏼 ضمن تنبؤات المستقبل، بعضها يأتي على ألسنة الأولياء والصالحين أو الدراويش أصحاب الأحوال الذين أصطفاهم الله ووهبهم بعض الأسرار من الغيب، تأتي عفوية على ألسنتهم، وتنتمي أحداثًا تقع مستقبلًا.